سلطتها الوطنية عليها ، فتكون بذلك قد سلمت ضمنيا بتواجد كيانين في فلسطين ، الكيان الفلسطيني العربي وكيان اسرائيل ، لاجل غير مسمى . ويبدو ذلك متعارضا مع شعار منظمة التحرير باقامة الدولة الديموقراطية العلمانية في كل ارض فلسطين .

وبدا هذا المأزق وكأنما منطق دول المواجهة ، لا منطق المنظمة ، هو الذي رجحته مجريات النزاع . وعلى هذا الاساس طرح الغرض ان قضية فلسطين من شأنها ان تفقد بريقها بعد حرب اكتوبر .

ولكن الاحداث اثبتت عكس ذلك . فقد اعتلى ياسر عرفات منصة الامم المتحدة بعد حرب اكتوبر وليس قبلها . وتعاظم الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير . وتلاحقت قرارات الامم المتحدة المؤيدة لقضية فلسطين . وقرار الجمعية العامة بادانة الصهيونية قرار بالغ الدلالة ، ذلك انه يحمل ادانة دولية للاساس العقائدي الذي تقيم عليه اسرائيل مبررات وجودها .

ويجدر بنا ان نتساءل : ما الذي يفسر تعاظم شأن القضية الفلسطينية على هذا النحو في المحافل الدولية ، بينما تتعرض للاحقات ومطاردات متعاظمة الشأن داخل الساحات العربية ، والكثير من أعمال المقاومة ومظاهر نشاطها لم تعد موضع استنكار اسرائيل والولايات المتحدة وحدهما ؟

الملاحظ بوجه عام انه كلما بادرت امريكا بمبادرات منفردة من جانبها لتمسك بخيوط التوصل الى تسوية للازمة ، لازمت هذه المبادرات الامريكية عملية انقضاض على المقاومة الفلسطينية لتبرز وبشكل ملموس ان منطلقات امريكا للحل ، ومنطلقات الثورة الفلسطينية على طرفي النقيض . لقد صاحبت مبادرة روجرز عام ١٩٧٠ مذبحة الفلسطينيين في الاردن ، وطرد المقاومة من قواعدها في الضفة الشرقية . وصاحب فك الاشتباك الثاني على جبهة سيناء بمقتضى اتفاق كان لامريكا الدور الفاصل في انجازه، تفجر الموقف في لبنان ، وتعرض الفلسطينيين مرة اخرى ، وفي جبهة اخرى تواجه اسرائيل ، لمحاصرة وتضييق يزداد احكاما .

لا تفسير لهذه المفارقة — مفارقة تعاظم شأن قضية فلسطين دوليا ، رغم زيادة تعرضها للملاحقة والمحاصرة داخل ساحات المواجهة — الا ان قضية فلسطين اصبحت ترمز لما هو اكبر من لب النزاع العربي الاسرائيلي وحده ، وان المجتمع الدولي قد تعاظم وعيه بهذه الحقيقة .

لم ترمز قضية فلسطين ؟ ترمز للمواجهة العصرية بين مجتمعات الرفاهية ، صنع الاستعمار العالمي الحديث ، والمشاكل المتفاقمة التي تتعرض لها مجتمعات الندرة والحرمان والجوع في العالم الثالث ، وذلك في صورة من اكثر صور هذه المواجهة احتداما والتهابا . ولا ينطبق ذلك على وضعية الثورة الفلسطينية ومعطياتها واهدافها فحسب، بل ايضا على اساليب المقاومة التي ابتدعتها او مارستها ووجدت صدى لدى قوى مختلفة انبثقت في ساحات شتى من قاع المجتمعات الدولية ، واخذت تقتبسها للتعبير عن رفضها ولتستنكر تعرضها لقضايا « مستحكمة التعثر » برزت للمقدمة مع تعدد مظاهر « وفاق » دبلوماسية الذرة عند القمة ، وزيادة الصراعات المنطلقة من قاع المجتمعات اندفاعا وتنوعا .

وليس مصادفة هذا التوافق في الاساليب ، رغم تنوع القضايا وتباين المواقع ،